بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

لابد لنا قبل أن نتحدث عن المصرف الاسلامى أن نجيب على هذه الأسئلة التى تثار كثيرا بغير حق :

هل هناك برنامج للاسلام ؟

هل هناك اقتصاد اسلامى ؟

وهل هناك حقا مصرف اسلامى ؟

أما عن السؤال الأول وهو أشدها جرأة على الاسلام فاذا افترضنا فى السائل حسن النية لكان السؤال دليلا فاضحا على الجهل برسالة الاسلام التى أنزلها الله على عبده محمد ﷺ منذ أربعة عشر قرنا لتكون هدى للعالمين حتى قيام الساعة لأنه تعالى قال عن القرآن الكريم « **ما فرطنا فى الكتاب من شىء** » (١) ...

انه الدستور الأعلى الذى بينه لنا المصطفى ﷺ كما أمر من رب العزة « **وأنزلنا اليك الذكر لتبين للناس ما نزل اليهم** » (٢) .

وقد بين الرسول الكريم ما نزل الينا قولا وعملا وتقريرا ...

أما السؤال الثانى فلعله أشد نكيرا من السؤال الأول لأن الاقتصاد هو جزيئة صغيرة من تشريعات الاسلام وقد بدأ تنظيم الاقتصاد مع بدء نزول القرآن فى مكة المكرمة قبل أن يعرف العالم شيئا اسمه علم الاقتصاد هذا العلم الذى لم يعرف فى الغرب بنظرياته الا منذ قرنين من الزمان أو أقل ..

---

(١) الأنعام : ٣٨ (٢) النحل : ٤٤

ففى مكة نزلت سورة « المطففين » ومطلعها « **ويل للمطففين • الذين اذا اكتالوا على الناس يستوفون • واذا كالوهم أو وزنوهم يخسرون • الا يظن أولئك أنهم مبعوثون • ليوم عظيم • يوم يقوم الناس لرب العالمين** » (٣) •• فنرى فى هذه السورة النذير الشديد والتحذير البالغ من جريمة الغش فى المعاملات بين الناس التى تفسد المعاملات والعلاقات فى المجتمع •

ومن قبل هذه السورة نزل فى سورة الروم قوله تعالى « **وماآتيتم من ربا ليربوا فى أموال الناس فلا يربوا عند الله ، وما آتيتم من زكاة تريدون وجه الله فأولئك هم المضعفون** » (٤) •

« وتفسير هذه الآية بلغة الاقتصاد الحديث والاجتماع •• أن الزيادة التى تأتى لأموال الناس عن طريق الربا هى زيادة فى الظاهر لكنها ليست زيادة فى نظر الله ولا فى الواقع لأنها لا تزيد شيئا فى الثروة العامة للمجتمع على حين أن النقص الذى يلحق الأموال بسبب الزكاة هو نقص فى الظاهر لكنه زيادة فى نظر الله والواقع ، لأن صرف هذه الزكاة فى مصارفها يزيد من ثروة المجتمع ومن قدراته وامكانياته وقدرة أفراده على الاستهلاك وبالتالى اقتصاده على النمو وبذلك يتحقق للمجتمع فوائد أكبر من الفوائد التى كان يمكن أن تتحقق لو بقيت الزكاة فى مال صاحبها •• ويؤدى وظائف اجتماعية أهم بكثير من الفوائد الفردية التى قد تترتب على عدم ايتاء الزكاة » (٥) •

أما فى المدينة بعد أن هاجر اليها رسول الله ﷺ فقد توالى نزول التشريع الاسلامى للمجتمع الجديد ينظم كل شىء فى حياة المسلم الاجتماعية والسياسية والاقتصادية •

وفى الاقتصاد نظم التجارة والمعاملات المالية المختلفة حتى أنه جاء

---

(٣) المطففين : ١ ـ ٦ (٤) الروم : ٣٩

(٥) مشكلات المجتمع المصرى والعالم العربى ، لعلى عبد الواحد وافى ، ص ٥٤ •

فى سورة البقرة أطول آية فى القرآن (الآية ٢٨٢) تنظم عملية التداين بالأجل وكيفية كتابة الدين والاشهاد عليه بما لا يترك زيادة لمستزيد .

بل لقد كان أول عمل لرسول الله فى المدينة بعد بناء المسجد ـ دار العبادة والتربية ـ هو انشاء سوق للمسلمين يحررهم من احتكار اليهود وسيطرتهم على اقتصاد المدينة وينظم التجارة وفق قواعد جديدة أرساها الاسلام من الحرية والعدل والبعد عن الغش والاحتكار وكل السوءات التى زرعها اليهود فى معاملاتهم وأفرزوا منها ما عرف أخيرا بالنظام الرأسمالى .

ومضى سلفنا الصالح يوضحون هذه القواعد الأساسية ويضيفون اليها ما يستجد من معاملات فى ضوء من الكتاب والسنة فلم يخل كتاب من كتب الفقه القديمة من باب « المعاملات » أو « الأموال » وهما الاسمان اللذان أطلقا على علم الاقتصاد الاسلامى وهما لغويا أصح من التسمية الغربية التى يفهم منها ـ سواء فى اللفظ العربى أو الانجليزى ـ أنه يختص بالادخار من فعل « اقتصد » (Economise) بينما هو علم يناقش كل ما يتعلق بالمعاملات المالية بين الناس .

ولقد ظهرت أيضا الكتابات العلمية المتخصصة على أيدى فقهاء المسلمين منذ العصور المبكرة .. فكتب أبو يوسف ـ تلميذ أبى حنيفة (المتوفى عام ١٨٢ هـ) ـ رسالته « الخراج » لأمير المؤمنين هارون الرشيد لتنظيم مالية الدولة .

وكتب الامام العظيم أبو عبيد (المتوفى عام ٢٢٤ هـ) كتابه « الأموال » كما كتب الامام محمود الشيبانى (المتوفى عام ٢٣٤ هـ) كتابه « الاكتساب فى الرزق المستطاب » وغيرهم ممن أثروا المكتبة الاسلامية فى فقه الأموال .

وهدف الاقتصاد الاسلامى هو تحقيق عهد الخلافة بين الخالق والانسان « واذ قال ربك للملائكة انى جاعل فى الأرض خليفة » (٦) .

---

(٦) البقرة : ٣٠

والعهد هو اعمار هذه الأرض « هو أنشأكم من الأرض واستعمركم فيها » (٧) ..

وعلى ذلك فالناس وكلاء مستخلفون فى الأرض بشرط وعهد وليسوا ملاكا خالقين لما فى أيديهم من أرزاق وهذا يوجب عليهم التزام جانب القصد والاعتدال وتجنب السرف والشطط فيما ينفقون من رزق الله الذى أعطاهم حتى تظل فى أموال الأغنياء فضلة من الرزق لفريضة الزكاة وتطـــوع الصدقة غير المحدود وحتى تتحقق « عدالة توزيع الثروة » الغاية الكبرى من نظامنا الاسلامى ...

فاذا جئنا للسؤال الأخير عن « المصرف الاسلامى » فهو ما أفردنـا له هذا الكتاب وحاولنا قدر الاستطاعة التركيز فيه على الناحية العملية التى تشتد الحاجة اليها ـ لا سيما بين العاملين فى المصارف الاسلامية ـ أكثر من الناحية النظرية ..

نسأل الله تعالى العون والسداد .

المعادى فى الجمعة ١١ جمادى الأولى سنة ١٤٠٨ هـ

يناير سنة ١٩٨٨ م

عبد السميع المصرى

***

---

(٧) هود : ٦١